جمالية الفضاء في رواية وشـــم في الذاكرة

لمريـــم بـــختـــة و د. الطيب بن دحـــان/جامعة طاهري محمد بشـار

عالجت الروائية مريم بن بختة ظاهرة إجتماعية أضحت متفشية في الأوساط الاجتماعية،حيث كان الفقر المدقع دافعا في انتشارها مما جعل الانحلال الخلقي يستفحل بين الأوساط الشعبية.

اختارت الأديبة شخصيات لتؤدي هذا العمل الفني عساها تكون قطرة غيث تطفئ هذه الشعلة.

فكانت سعاد المنحدرة من أسرة ميسورة الحال تعيش من عرق جبين والدها،فتاة متحجبة متخلقة إلا أن مصاحبة الأشرار من أمثال غيثه وجيهان ونتيجة وضعيتهما المزرية دفع بها إلا الانزلاق،فوجدت نفسها بين أحضان شرطة الآداب.

أجادت الأديبة في توظيف فضاء واختيار شخصيات ولغة تناسب الحدث،تخدم العناصر السردية بهذه العناصر المتلاحمة قد تساهم الروائية في معالجة هذه الظاهرة التي ساهم في انتشارها أصحاب الأموال الطائلة قد تعالجها أقلام بسيطة

مقدمة :

منهجية البحث تقتضي التطرق إلى بعض المصطلحات التي أصبحت متداخلة،خاصة في بعض الأجناس الأدبية،نجد الفضاء،والحيز، والمكان،هذه المفاهيم تجعلنا نقف عند كل عنصر لأنها تنسب إلى جنس أدبي له من الخصوصيات ما يجعله يتقاطع مع أجناس أدبية أخرى ضمن خطاب معين .

إن كلمة الفضاء في اللسان العربي تعني المكان الطبيعي أو الجغرافيL'espac .

وجاء في مادة فضا:الفضاء المكان الواسع من الأرض،والفعل فضا،يفضو،فضوا فهر فاض، وقد فضا المكان إدا اتسع،وأفضى،فلان إلى فلان:إذ وصل إليه وأصله،أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه والفضاء أيضا الخالي(الفارغ) الواسع من الأرض).[1]

أما من الناحية الاصطلاحية ظلت الإشكالية قائمة و لم تتمكن لا الآراء الفكرية ولا المذاهب الفلسفية و الأدبية من تحديد هذه المفاهيم ، و حتى لا تتفرق بنا السبل و لا نتمكن من الاهتداء إلى جادة الصواب ، نقتفي أثر الدراسات العربة في هذا الشأن .

و العرب أنفسهم لم يتفقوا على مفهوم واحد بعضهم لا يجد فرقا بين المكان و الفضاء ، وفي هذا تدرج ترجمة غالب هلسا لكتاب غاستون باشلار "شعرية الفضاء "ب "جمالية المكان "فهو يعتبر المكان مرادفا للفضاء في حين يرى آخرون العكس المكان أوسع من الفضاء (إن المكان منفصل عن الفضاء) [2]، بينما يتجه فريق إلى أن الفضاء يتشكل من مجموعة من الأمكنة حسب تغيير الإحداث و تطورها و يمثلهم حميد لحميداني و بالتالي يصبح الفضاء أوسع من المكان ،و هو ما أقره محمد بنيس (أن المكان منفصل عن الفضاء) [3].

ما يمكن استخلاصه من هذه الآراء المختلفة و المتداخلة أن كلمة الفضاء يمكن عدها بمعنى المكان الذي هو دوره مرتبط بالزمان ، حيث يستحيل أن يكون المكان منعزلا عن زمانه لأن (المكان لا تتجلى أبرز صفاته الجمالية إلا من خلال الزمان و الإنسان)[4]، هذه العلاقة تجعل عامل التأثر و التأثير بين العناصر المكونة لنظام السرد قائمة .

انطلاقا من هذا الآراء يتضح إن المصطلحات متقاربة فيما بينهما الأمر الذي جعل الباحثين يختلفون في توظيفه . عندا لكلاسيكيين أخذ المكان يشغل هذا الحيز، أما عند المحدثين طغا مصطلح الفضاء .

و مع ذلك نجد من يربط المصطلح بالأحداث التي تقوم بها الشخصيات حيث تقدم في فضاء يحدده الجنس الأدبي،لان الفضاء في المسرح هو الديكور الذي ينعكس على

الخشبة،.بينما في الرواية والقصة هوا لإطار الذي (تلتقي فيه كل العلامات والرموز الدالة ، وهو الذي يساهم في توليد الأحداث وتقديمها للقارئ أو المتلقي) [5]و بالتالي نجد المكان (ينهض بأعباء مجموعة من الوظائف و الإبعاد المختلفة ، تضفي دينامية على الخطاب الروائـــــي و إنجـــــازه بوصـفه _أي المكان _عنصرا بنائيا ، لا غنى للخطاب الروائي عنه ، بل لا يمكن للرواية _أصلا _ أن تقوم دونه)[6].

وهو ما أشار إليه تودوروف عندما ميز بين القصة Histoire والخطاب Discours فالقصة في رأيه تعرض أحداثا تكون قد وقعت بينما الخطاب يجسده سارد له من الخصوصيات ما يجعله يؤثر في القارئ .

و هو ما عرف أيضا في التراث العربي بجمالية التعبير.

إن الجنس السردي لا يخلو من ترابط الأحداث والشخصيات في أمكنة تسمو بها حين وصفها(وتتنازع حولها الشخصيات،وتدور في عهد وفترات تحوي هذه العناصر و تؤثر فيها،إيجابا أو سلبا،مما تنجم عنه تمفصل الفضاء التخييلي إلى أماكن مباحة أخرى)[7] و بالتالي يصبح الفضاء أو المكان عنصرا هاما في البناء التشكيلي للجنس السردي مع باقي العناصر الفنية، الأمر الذي أدى إلى تداخل هذه المكونات، إذا (كان السرد يشكل أداة الحركة الزمنية في الحكي، فإن الوصف هو أداة تشكل صورة المكان،ولذلك يكون للرواية بعدان :أحدهما أفقي يشير إلى السيرورة الزمنية،و الأخر عمودي يشير إلى المجال المكاني الذي تجرى فيه الأحداث،و بالتحام الوصف و السرد ينشأ فضاء الرواية)[8]،الذي يؤثر في نفسية الأخر لان الوصف يعد عمدة في تكوين الحبكة الفنية .

من هنا تطرح جملة من التساؤلات أبرزها:

ما دور السارد في تشكيل الفضاء؟

ما أثر الفضاء على أفكار الشخصيات ؟

كيف ينعكس الفضاء على سلوكيات الشخصيات ؟

هل للفضاء تأثير في توجيه الشخصيات ؟

القاري لرواية وشم في الذاكرة للداعية و الأستاذة مريم بن بختة يلفيها استغلت الفضاءات المتنوعة قصد الكشف عن الحالات الاجتماعية و النفسية التي تعيشها الشخصيات ، و قد حصرت الروائية الأمكنة في اتجاهين / اتجاه داخلي ،و الأخر خارجي .

المنحى الداخلي /يتجلى في المدينة الممثلة "بالدار البيضاء " المطلة على المحيط بأزقتها الضيقة القديمة ' و شوارعها المزينة بالفيلات و الحدائق الجميلة و المقاهي التي تزج بالسياح لا سيما جهة "عين الذئاب " التي عرفت بكثرة الزائرين الذين يجدون في فضاءها ما تشتهي إليه الأنفس.

هي المدينة التي يتجسد فيها الغنى الفاحش و الفقر المدقع ، تجدب إليها أنفس الأثرياء فتبهرهم بجمالها و شواطئها الساحرة ،و تغري الفقراء بالعملة الأجنبية لاسيما عملة المشرق العربي منها ، برعت الكاتبة من ربط الفضاء الروائي بالحالات النفسية للشخصيات التي أثرت و تأثرت بالواقع و بالتالي غاصت في أغوارها لتقف عند البعد الثقافي و الاجتماعي لكل شخصية .

و اختيار الكاتبة لهذا الفضاء المتميز لتصبح الشخصية فاعلا فيه أو مفعولا به (و الفضاء نفسه ليس بريئا ، فهو يغري هؤلاء و أولئك جميعا ، و يصنع لهم الحلبة التي تتعارك فيها أهدافهم)[9].

إن ذكر هذه الأمكنة الطبيعية يؤدي إلى فضاءات لها دلالة يستثمرها الكاتب لأحداث يقصدها ، وفي هذا يقول شارل غريفل (إن المكان في الرواية هو خديم الدراما ، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى به أو سيجري به شيء ما . فمجرد الإشارة إلى

المكان كافية لتجعلنا ننتظر قيام حدث ما , و ذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث) [10]، من هنا يتجلى أن اختيار فضاء ما ، لا يكون إلا لهدف يرومه الكاتب .

الفضاء الخارجي :

هو العنصر المحتضن للأحداث تفاصلها ، و الرابط بين الشخصيات ،هكذا تنشأ العلاقة بينهما أي بين "الشخصية و الفضاء " لأنه (يمثل الخـــــــلفية التي تقع فيها أحداث الرواية) [11]فهو بمثابة الديكور في العمل المسرحي ، بهذا تظهر شخصية سعاد بطلة الرواية في "وشم في الذاكرة " هي فتاة في ربيع العمر تنحدر من أسرة محافظة ، ميسورة الحال ، كانت ملازمة للصلاة منذ صغرها ، لكن مصاحبة الاشرار أثر في حياتها ، تغيرت رؤيتها ، تظاهرت بارتداء الحجاب لتستر انسياقها وراء دعوات شياطين الجن و الجن والإنس (أنسقت للشيطان،أرتع في حضنه ارتوى بتدفقه الذي أغراني.وتحالفت معه على العصيان التام،على الانحراف والفجور. ما أكرهت على البغاء .. على الغوص في أعماق الذات التي أسقطت كل المعالم الباقيات من الفضيلة ...لأني استسلمت لذاتي ..)[12]م يكن اختيار "عين الذئاب "فضاء لهذه الرواية اعتباطيا فحسب،بل رأت الروائية أنه المكان الأنسب لمثل هذه التصرفات اللاأخلاقية ،هو مقصد الأثرياء من داخل وخارج الوطن " المغرب "،إن فضاء عين الذئاب مرتبط بفضاء الفساد والمجون بالغدر والشر مكان يغري زائره ويستدرجه ليرميه في غياهب الشر والعصيان (تصل الفتيات إلى عين الذئاب.....تترجلن من سيارة أجرة .الذي أسرع مغادرا المكان دون أن يقبض ثمن الرحلة مرددا وهو غاضب أشبغيت بفلوس لحرام ،الله يتبعهم البلا.....)[13]

لعل الروائية من خلال هذا المقطع تكشف عن الفئة المحافظة الناقمة عن هذا الوضع المزري الذي تفشى في المجتمع المغربي وهي الفئة التي لا تملك سلطة التغيير المتمثلة في سائق

سيارة الأجرة الذي يعمل لكسب قوت يومه من الحلال،اندهش حينما تحول المقعد الخلفي إلى غرفة تجميل وإزالة الخمور من الرؤوس.

ثم أزيلت الألبسة لتحول محلها أخرى تكاد لا تستر شيئا من الجسم .فهكذا ينتقي الفنان (من المواد ما يعبر به عن العلاقات والمواقف والأشياء)[14]

إلا أن السؤال المطروح ما هي السلطة التي يجسدها فضاء الروائي "وشم في الذاكرة "؟ و كيف تمكنت الروائية من استغلال الفضاء للتأثير في الشخصية ؟

لا شك أن العلاقة التي جمعت بين شخصيات الرواية (سعاد - غيثة – جيهان) والمحيط الخارجي لا سيما ما تعانيه الطبقة التحتية من الحرمان العاطفي،والفقر المدقع ،والمحرمات المباحة وغيرها من القضايا المزرية التي قد ساهمت في الانزلاق الأخلاقي.

الأمر الذي أنتج جيلا محروما من العواطف الأسرية حيث ساهمت في وجوده الأمهات العازبات،فأي وطنية يحملها هذا الفرد؟.وبأي قيم يتسلح حتى يكون عنصرا فعالا في المجتمع ،من هنا تحطمت بعض القيم التي كانت تتحلى بها الأسرة المغربية من حياء وحفظ العرض والشرف،والاستقامة في السلوك،بهذا تستجيب الشخصية وتلازم الفضاء حيث تجري الأحداث.

وهو ما سماه "حميد لحمداني" (الفضاء الجغرافي) .

الذي صنعته الفتيات الثلاث في رواية"وشم في الذاكرة" داخل خفر الشرطة ،حيث (كنا نجمات الليل عندما ارتكبن خطايا هن تحت جنح الظلام ، وصرنا حشرات بالنهار تدوسهن أقدام رجال الشرطة الآداب)[15].

هذه الصورة التي نقلتها الأديبة حققت الانسجام عن طريق هذا الإطار الذي يتمثله الأخر في خياله .

من هنا يتشكل عنده المشهد التأويلي من خلال الخطاب السردي.

هكذا يتحول الفضاء من مكان فسيح تغمره السعادة والفرح والابتهاج إلى موضوع ضيق شبيه بالجحر يعج بالخوف والفزع، تشكلت أبعاده من خلال الأحداث التي نسجت خيوطها سعاد وغيثة وجيهان داخل خفر الشرطة .

في بهو هذا الفضاء تكشف لنا الروائية (مريم بن بختة)عن الحالة النفسية،والندم الشديد الذي لحق بالجناة خاصة سعاد التي لم تكن بحاجة تدفعها إلى اقتراف هذا الإجرام . وهو الأمر الذي نزل كالصاعقة على والدها حين اخبر بشأن ابنته في بداية الأمر، إلا أنه استرجع صورة فتاة سعاد المتخلقة والتي تربت في أحضانه بين القيم والمبادئ السامية ، لكنها اليوم ضاعت خيبت آماله ، و تبخرت أحلامه ، مع وقوع هذه الكارثة .

و مع ذلك لم يستصغ هذا الآمر، قد لا تكون سعاد هي المقصودة ، (كم كانت الطريق طويلة جدا ،بالنسبة للسي أحمد كانت العواصف ترج به رجا ، حتى إمكانية أن تلهمه و لو شرارة تكشف له مجريات الأحداث ، لا يمكن أن يكون الشرطي يقصد سعاد ابنته،ربما هذا تشابه في الأسماء لا غير ابنته المؤمنة والمتحجبة التي تخاف الله ،وتواظب على صلاتها استحالة أن تلتصق بها تهمة من هذا النوع،ربما واحدة من اللواتي تحقد على ابنته استغلت اسمها لتلصق بها هذه الشائعة)[16] إن التشكيل الفضائي: المدينة بشوارعها و مقاهيها و شواطئ عند الذئاب.ودار شرطة الآداب ، و غيرها من الأمكنة أبدعت الروائية في نسج العلاقات بينها حيث حددت مرجعيتها و تفاعلت أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية ،وفق نسق لاسيما وأن الكاتبة داعية وناشطة في جمعية منطقة المرأة الفاضلة تسعى إلى معالجة المظاهر الاجتماعية التي أضحت متفشية بين أوساط الطبقة الشعبية نتيجة الفقر الذي يسر الظروف لإشباع نزوات أصحاب الأموال من المشرق العربي أو أصحاب الحقول كما ينعتون.

-هذه الفضاءات تليق بمقامهم خاصة (الفيلات المترامية على طول شاطئ عين الذئاب ،تسللت الفتيات عبر الممرات ، ليبلغن محطتهن الأخيرة)[17] ،حيث يتمركزون ومنها ينطلقون

مع الموظفات الساميات في وزارة الدعارة،ينتقون من يحسن رعايتهم،من هنا كان الفضاء مريحا دالا على ثراء قاطنة (فيلا كبيرة،تظللها أشجار الصنوبر الوارفة الظلال،وورود الياسمين .....تطل بكبرياء من فوق الأسوار،كان المنظر خلابا،يسلب عيون المارين .دقت جيهان جرب الباب ليفتح بجهاز آلي ، ثم دلفن جميعهن إلى الداخل ، بطريقة تدل على أن المكان ليس بغريب على ضيافه ،)[18] و بالتالي تمكنت الروائية من إنشاء فضاء مريح يبعد زائره من الواقع ليسدد فاتورة الانحلال الخلقي ،الذي يتفطن لعواقبه بعد فوات الأوان .

فضاء السجن:

هو فضاء منحصر لا يتمناه أحد يختلف عن كل الأمكنة في هندسته، كما صورته الرواية يحوي غرفا أشبه ما تكون ملجأ للأيتام،تنبعث منه رائحة كريهة مجهز بأسرة بالية قد وجدت فيه العناكب مأوى لها،ا(وكأن هذه الأمكنة الغريبة المتعفنة، لم يكفها يتم هؤلاء الصغار. حتى تذيقهم يتم الجدران والبنايات التي غابت عنها معالم الرحمة ،فكانت بزواياها التي عششت فيها العناكب، والأسرة المهترئة...والنوافذ الزجاجية التي حلت محلها أغلفة بلاستيكية هذا الكوكتيل اتحد ليذيقهم يتم مجتمع لا علاقة له برحمة أطفال أيتام)[19] هذا الفضاء النتن أحكم بأبواب من حديد تفتح إلا لضرورة من طرف شخص يتميز عن الآخرين قد يكون من أحد الجنسين وجوده يغير الحركة يتحول فيه السرير إلى تابوت يحمل جثثا تتوهم أنها فارقت الحياة لولا الشخير المفتعل نتيجة الخوف من زبانية السجن ، داخل هذا المكان تفننت الروائية في تصوير الشخصيات و بذلك تمكنت من تحويل الثابت إلى متحرك .

و إذ تختار الروائية هذا الفضاء من أجل إثارة مشاعر المتلقي قصد التعاطف أو التنافر مع الشخصيات (فبقدر هذا الشعور يتجلى حضور الفنان ، و إحساسه به، و يترتب على ذلك بالضرورة تأثيره في القارئ) [20] و بقدر ما كان الوصف للمكان شاملا حيث يرسم الكاتب معالمه و يدقق في أجزاءه بقدر ما تنشأ العلاقة بين العناصر الفنية خاصة الشخصية

التي يمكن تحديدها و التعرف على هويتها ، وهو ما جعل _الفضاء _ يأخذ أهمية بالغة في المنظومة السردية خاصة إذا كان (يحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها للمكان وتثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكانا خاصا متميزا)[21] من هنا تمكنت الروائية من نقل صورة الفتيات اللائي تفاعلن مع هذا المكان الذي أضحى مؤثرا في البنية الروائية هكذا أصبحت (بنية الفضاء الروائي تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية،بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها)[22] هو ما جعل الشخصية الروائية تفسح عن مكنوناتها (كم أنا حقيرة ، أستحق العذاب ،أستحق نار جهنم ...لكن يا رب لا أريد أن يعلم والدي بأني ما كنت حافظة للغيب ، و أني خنت عهدهما و ثقتهما ...الآن أستنجد بالله متوسلة ...تخاطب سعاد نفسها متحسرة ، مكسورة النفس ...)[23]

هكذا يصبح فضاء السجن حاملا لدلالة المعاناة، وقائما على حدث يحدد وظيفته فمجرد (ذكره يجعلنا ننتظر واقعة من الوقائع،فلا وجود لمكان لا يكون شريكا في الحدث)[24]

من هنا تتجلى مساهمة فضاء السجن في تشكيل العالم الروائي الذي أزاح القناع عن الصورة الحقيقية للشخصيات،وبالتالي تمكنت الروائية من نقل المتلقي إلى عالم آخر نسجته بخيالها فكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية لشخصياتها (إذ أكثر أبعاد المكان حميمية وانتشار هو البعد النفسي) [25] هو ما كشفت عنه إحدى الشخصيات الروائية (سعاد) حينما طفقت تراجع عملها ألدني الذي أوصلها إلى هذا الوضع ،وأخذت توازي الظروف التي تخالفها مع جيهان وغيثة ،(تاهت جيهان في غياهب مجتمع ..متدنس ...انعدمت فيه مشاعر الرحمة ..أن تربأ بها كطفلة تحتاج إلى حب أب و حضن أم مثل كل من كان في سنها ...أضحى همها الوحيد جمع المال ، سلاح ألأقوياء ، سلاحها ضد غدر الزمن .) [26] أما غيثة لم تكن أحسن حال من جيهان تعيش في غرفة لا تتجاوز الثلاث أمتار ، فقدت من كان يعولهم في حادث مرعب (و كان الشارع البديل الحاضن لها ..،لأجل لقمة تسد جوعتها

و جوع إخوتها كان لا سبيل إليه إلا الدعارة لجني المال ..)[27] بهذا الاسترجاع تأخذ الشخصية تعاتب نفسها وبالتالي يأخذ فضاء السجن بعدا دلاليا مؤثرا في الشخصية،ومساهمتها في الوقت نفسه في بلورة الأفكار والمواقف (هذه ظروف جيهان وغيثه ،فأين أنا منهما ،من الذي غرر بي، أهو اغترار بجمال منه اللـــــه علي حفزني لغواية الرجـــــال لأرى مداه ؟؟أحجابي الذي أكرمني الله به ،أستغله قناعا للنيل من أهلي ؟؟...لكني أنا التي تهت عن وجهتي وظللت طريقي أنا التي جعلت من الدين ستارا ، أستر به خيبتي من نفسي ، و ضياعي و مجوني و انحرافي)[28] لعل هذا الارتداد كما سماه الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض جعل شخصية سعاد تستحضر حالتها الاجتماعية ومكانتها الأخلاقية داخل الأسرة.

لعل هذه التقنية –أي الاسترجاع –تعطي ابعادا دلالية نتيجة ما حصل للشخصية من تغيير و هو ما ظهر في المقاطع السردية حيث طرأ على شخصية سعاد تغيرات متناقضة (إذن ما الذي دفعني من قمة الاخلاق و التدين إلى حافة الانحراف التام أنا تحديدا .

من جرني إلى أن أكفر بكل القيم ..انسلخت من جلدي ..لبست جلدا ممسوخا ممزوجا بالعصيان ....)[29] و إذ تعتمد الروائية على تقنية الاسترجاع في هذا النص السردي لتعود الشخصية إلى الماضي ليعيش معها المتلقي مرحلة المفارقة وبالتالي يصبح الماضي جزءا من الحاضر ، و بهذه العودة (تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص ، و يحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي و صلتها القصة)[30]، كل ذلك من أجل التأثير و إنشاء صورة واقعية من اللاواقعية و بالتالي تصبح الصورة الجمالية (غير واقعية و إن كانت منتزعة من الواقع ، لان الصورة الفنية تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع)[31].

إذ تركز الروائية على هذه التقنية لأنها تملك القدرة (على تكسير القيود الزمنية الرتيبة،وتعاقبها على نحو المألوف الثقيل،فإنها تمكن السارد من اختصار الزمن،واختصار الحدث،وتركيز الحيز،أي تكثيف السرد عبر هذه العناصر كلها) [32].لعل الروائية أبدعت في تحقيق التلاحم بين العناصر الفنية للنص السردي ، مع إعطاء الفرصة للمتلقي ليتحول بفكره مع البعد الجمالي لهذه الأحداث التي نسجت خيوطها سعاد وهي في خفر شرطة الآداب ، هذا الفضاء المكاني فجر ذاكرة البطلة (فقدت للشرف الذي تطاح به الرقاب..،

و سأفقد حب و احترام والدي و إخوتي و كل أسرتي بمجرد إن يعلموا بأمري.

لكن لا..لا..لا..لا يجب أن يعلموا بذلك ..لن أدع الأمر يصل إليهم ، سأحرص على ذلك جيدا)[33].

و تظهر الفضيحة و يسقط القناع و تستقبل (أسرتها الخبر على يد شرطة مكافحة الفساد و الدعارة ، و التي كانت أسرع من الصحف و الجرائد التي ستصدر في صبيحة الغد معلنة فضيحتها على الملأ هي و زميلات الكفاح ضد الفضيلة و القيم .

فكيف سيكون وقع الفاجعة على الأسرة المحبة لها ، و الأب الودود هل سيسر ابنته الدلوعة "بنت الفشوش") [34].

بهذا تمكنت الروائية مريم بن بخثة من كشف ما بخلد بطلتها سعاد من مشاعر ، أخذ الكلام ينثال (بصورة عفوية ليعبر عن تجربة البطل النفسية الداخلية تعبيرا شعوريا دون اعتبار لتسلسل الزمن الخارجي)[35] حضور الحارس في هذا الفضاء يفتح شهية اليأس والقنوط (تطل امرأة لا تمت بجنس النساء إلا بصدر بارز، يذكر من يراها بأنها من جنس حواء .. الجنس اللطيف .

بصوت أجش و هي تنقر على الباب بمفتاح كبير أشبه بمطرقة : كفاكن صراخا ..و هياجا ألا تستحيون ؟؟ ..

أحذركن جميعا مرة أخرى إذا سمعت إحداكن تحدثا صوتا أو جلبة ، فلا تلوم إلا نفسها .)[36]

هكذا يحمل فضاء السجن المتناقضات الحياتية تجعل نازله بعيدا وقريبا في الآن نفسه،تحوم به الأحلام ليسبح في بحر حب العائلة التي تتجرع مرارة الحدث لاسيما إذا كان نازله مقيما في غرفة من قسم مكافحة الفساد والدعارة كما هو الحال بسعاد التي لم بتفطن والدها "سي احمد" إلا بعدما وقعت الواقعة.

هذه الجريمة تقاسمها سعاد مع الأسرة التي لم تحسن تربيتها في مرحلة المراهقة،لأن أمها فتحت لها المجال لتجد نفسها بين مخالب الذئاب المسعورة أما والدها انشغل بعمله المضني يكد حتى يجمع لهم ما يحميهم من عواقب الدهر،قد يكون التفاوت الاجتماعي الذي عرفته مدينة الدار البيضاء سببا في ولادة هذا التصرف الذي تعتبر سعاد واحدة من إنتاجه هكذا تمكنت الروائية مريم بن بختة في عملها "وشم في الذاكرة "من استغلال هذه الفضاءات لترصد الأبعاد الاجتماعية والنفسية وتحولاتها على سعاد وغيثة وجيهان .

إن البعد الاجتماعي الناجم عن الفقر و انعكاسه على الأسر المغربية هو الذي أفرز هذا الوضع ،و أخذ يدفع ثمنه بنات حواء اللواتي لجأن إلى بيوت الدعارة ، في حين أتجه الرجال إلى تعاطي المخدرات التي أبعدتهم عن معرفة ما يحدث حولهم .

و ما يمكن استخلاصه في هذه الرواية الاجتماعية أن الكاتبة تمكنت من تأسيس علاقة متبادلة بين مجموع القوى السردية حيث أن الزمان لا يمكن فصله عن المكان ، و كذا الشخصيات بحاجة إلى هذه الفضاءات التي اخترقتها فنمت فيها الأحداث ، وبالتالي يتحول الفضاء إلى بؤرة انتباه المتلقي ليكشف من خلاله عن الحالة النفسية و ما تطمح به الشخصيات الروائية .

في هذه الأجواء المتعفنة ، و الأماكن القذرة تتكاثر الآفـــات و فيها أيضا تموت القيم و الأخلاق ، و لا ينجو من عواقبها إلا من رحم ربك وهو ما رمته الكاتبة من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الجنسين ، لعلهم يستيقظون من سباتهم ، فتهب عليهم ريح الحلم ، لتفكهم من مخالب الذئاب .

مراجع البحث و إحالاته:

1_ا بن منظور لسان العرب المجلد الثاني ص1107

2_نقلا عن حسن نجمي شعرية الفضاء المتخيل و الهوية ص 42

3-محمد السيد إسماعيل بناء فضاء المكان في القصة العربية إصدارات دائرة الثقافة و الاعلام حكومة الشارقة 2002ص 19

4_عبد الرحيم احميدي قراءة في رواية محاولة عيش ص15

5–خالد حسين شؤون العلامات من التشفير الى التأويل ط1 س 2008 دمشق ص159

6_نقلا عن محمد الزموري الشعرية و السرديات مطبعة آنفو فاس ص 96 بتصرف

7_ نادية بو شفرة :معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي دار الامال للطباعة و النشر و التوزيع المدينة الجديدة ،تيزي وزو ص 114

8- حميد لحميداني بنية النص السردي في منظور النقد الادبي المركز الثقافي للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ط2 سنة 1993 ص 80

9- عبد السلام أقلون في رحاب السرد قراءة في البنيات و الدلالات الروائية ط1سنة 2008 الرباط المغرب ص 90

10- شارل غريفل نقلا عن عبد السلام أقلون المرجع السابق ص 94

11_حسن نجمي :شعرية الفضاء المتخيل و الهوية في الرواية العربية ،المركز الثقافي العربي ص53

12_مريم بن بخثة : رواية وشم في الذاكرة ص21

13_مريم بن بخثة :الرواية ص27

14_محمد منيب البوريمي :الفضاء الروائي في الرواية المغربية الحديثة منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية 2001 ص 152

15_مريم بن بخثة : الرواية ص 71

16_مريم بن بخثة : الرواية ص83

17_ مريم بن بخثة :الرواية ص 28

18_مريم بن بخثة : الرواية ص28

19-مريم بن بخثة : الرواية ص92

20_عبد المنعم زكريا القاضي :البنية السردية ص 139

21-هلسا غالب المكان في الرواية العربية دار ابن هاني دمشق سنة 1989 ص 9

22- حسين بحراوي بنية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي بيروت ط2 سنة 2009 ص 30
23_مريم بن بخثة: الرواية ص 53
24-محمد الزموري شعرية الفضاء في القصة القصيرة ص 10
25-عبد المنعم زكريا القاضي المرجع السابق ص138
26- مريم بن بختة الرواية ص 38
27-مريم بن بختة الرواية ص 40
28- مريم بن بختة الرواية ص 52
29- مريم بن بختة الرواية ص 35
30- حسن بحراوي المصدر السابق ص 121
31- عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للادب دار المعارف القاهرة ص66
32_عبد المالك مرتاض مجلة المعرفة تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص219
33_الرواية ص78
34-مها حسن القصراوي الزمن في الرواية العربية ط1 سنة 2004 المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ص 244
35-الرواية ص93
36_الرواية ص93